وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تـــربيـــــة الـــطـــفـــــل

1) *الإسلام يبيح تحديد النسل بطريقة اختيارية، وعند الضرورة، ولا يبيح للدولة اتخاذ أي تشريع في الموضوع .*
2) *البرور بالوالدين.*
3) من عناية الإسلام بالجانب الروحي للطفل .
4) هل يفسد التلفزيون ولا يصلح ؟ .
5) *منزلة كافل اليتيم في الجنة .*
6) الأهل من الرضاع .
7) عناية الإسلام بالرفيق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإسلام يبيح تحديد النسل بطريقة اختيارية
وعند الضرورة
ولا يبيح للدولة اتخاذ أي تشريع في الموضوع

الإسلام هو الدين الحي الذي أنزله الله من فوق سبع سماوات على أنبيائه ورسله – عليهم الصلاة والسلام – ليهدوا به أممهم إلى الصراط المستقيم، ويضمنوا لهم السعادة الأبدية، ويعالجوا به مختلف مشاكلهم الدنيوية، وبقي هذا الدين يتبلور شيئا فشيئا كلما زادت العقول البشرية نضجا، وتوفرت لديها مواهب الكمال.

رسالة الإسلام دليل على نضج العقل البشري، ولما أصبح العقل البشري متوفرا على درجة من النضج تؤهله لقبول رسالة صالحة لكل زمان ومكان؛ بعث الله سيدنا محمدا – صلى الله عليه وسلم – بهاته الرسالة، وختم به دورتها، وأنزل عليه كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفل بحفظه في قوله: (***إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون***). [الحجر: 9].

وأفاض عليه من العلوم والمعارف ما بين به القرآن، كما قال تعالى: (***وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم***)، [النحل: 44]. فكانت السنة النبوية محفوظة بحفظ القرآن بحسب التبع له؛ لأنها بيان له.

وزوده بقواعد عامة يبني عليها علماء الاجتهاد أحكامهم الجزئية التي تحل بها مشاكل عصورهم.

وجعل إجماع علماء المسلمين على أمر من الأمور أصلا من أصول الدين؛ بمقتضى قوله تعالى:(***ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا***)، [النساء: 115]. وقوله تعالى: (***ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم*** - العلماء المجتهدين - ***لعلمه الذين يستنبطونه منهم***). [النساء: 83].

أصول الإسلام أربعة:

وبذلك أصبحت أصول الإسلام أربعة:

1) الكتاب.
2) السنة.
3) الإجماع.
4) القياس المستجمع للشرائط.

نعم؛ إن ما وقع التنصيص عليه في الكتاب والسنة لا مجال للاجتهاد فيه، إلا إذا كانت النصوص محتملة للتأويل وفقا لقواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

علاجان لتحديد النسل:

وعلى ضوء هذه الأصول الأربعة أقول:

موضوع تحديد النسل أو تنظيمه له علاجان:

- علاج يقوم به الفرد بمحض اختياره، ولا حق للحكومة في إجبار أحد عليه.
- وعلاج تقوم به الدولة، ولها كامل الحق في إجبار الناس عليه.

فالعلاج الأول: يسمح للزوج والزوجة باتخاذ الوسائل القديمة والحديثة التي يتمكنان بها من تحديد النسل، أو تقليل المواليد – على الأقل – خلال فترة تقصر أو تطول، تبعا للحاجة إلى ذلك؛ فيمكن أن أفتي بجوازه.

وفيما يلي جملة من النصوص التي اعتمدت عليها في الموضوع:

عن جابر – رضي الله عنه – قال: « كنا نعزل على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – والقرآن ينزل ». ومعلوم أن العزل: هو عدم الإنزال في الفرج.

قال الشوكاني في "نيل الأوطار": « فيه جواز الاستدلال بالتقرير من الله على حكم من الأحكام؛ لأنه لو كان ذلك الشيء حراما؛ لم يُقِرُّوا عليه، بشرط أنه يعلمه النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد ذهب الأكثر من أهل الأصول - على ما حكاه في "الفتح" – إلى أن الصحابي إذا أضاف الحكم إلى زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان له حكم الرفع؛ لأن الظاهر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – اطلع على ذلك وأقره؛ لتوفر دواعيهم على سؤالهم إياه عن الأحكام ».

بل ورد التصريح في بعض طرق الحديث باطلاع النبي – صلى الله عليه وسلم – على ذلك؛ فعن جابر- أيضا – قال: «كنا نعزل على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فبلغ ذلك نبي الله – صلى الله عليه وسلم – فلم ينهنا ».

بل ورد أن بعض الصحابة أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم - بذلك؛ فعن جابر – أيضا – أن رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن لي جارية، وهي خادمتنا وسانيتنا، وأنا أطوف عليها، وأنا أكره أن تحمل؛ فقال: «اعزل عنها إن شئت؛ فإنه سيأتيها ما قدر لها»، فلبث الرجل، ثم أتى فقال: إن الجارية قد حملت. فقال: «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها».

وعن عمر – رضي الله عنه – قال: « نهى رسول الله صلى الله عليه ويسلم أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها ».

فهذه أحاديث صريحة في جواز العزل.

الرخصة في تحديد النسل رويت عن عشرة من الصحابة:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال ابن القيم في "زاد المعاد": « وقد رويت الرخصة فيه عن عشرة من الصحابة: علي وسعد بن أبي وقاص، وأبي أيوب وزيد بن ثابت، وجابر وابن عباس، وأحمد بن علي وخباب بن الأرت، وأبي سعيد الخدري وابن مسعود – رضي الله عنهم ».

وسأقتصر هنا على نصوص ثلاثة؛ وهم: جابر، وابن عمر، وابن عباس:

فعن جابر قال: « كانت لنا جوار وكنا نعزل ».
وعن ابن عمر أنه: كان يعزل عن أمته.
وعن ابن عباس مثله.

وهو مذهب مالك والشافعي وأهل الكوفة، وجمهور أهل العلم؛ وقد حكى الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " عن ابن عبد البر أنه قال: « لا خلاف بين العلماء أن لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها؛ لأن الجماع من حقها، ولها المطالبة به »، وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل.

ويقاس على العزل: استعمال **العَمد** الذي هو: غلاف رقيق من المطاط يعمد فيه الرجل عضوه أثناء الجماع، وكذلك استعمال كم من المطاط بوضعة على عنق الرحم، وهذا أضمن الوسائل كما هو معلوم.

حديث يعد أصلا للنيات الباعثة على العزل:

والنيات الباعثة على العزل عديدة، وقد وقفت على حديث يعد أصلا لها؛ فعن جذامة بنت وهب الأسدية – رضي الله عنها – قالت: حضرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – في أناس وهو يقول: « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم شيء ». قال أبو محمد الدارمي: « **الغيلة:** أن يجامعها وهي ترضع ».

كما وقفت على حديث آخر يفيد أنه صلى الله عليه وسلم تحقق أن الغيلة تضر؛ فنهى عنها: حدث المهاجر بن أبي مسلم عن أسماء بنت يزيد بن السكن – وكانت مولاته – أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا تقتلوا أولادكم سرا؛ فوالذي نفسي بيده: إن الغيل ليدرك الفارس على ظهر فرسه حتى يصرعه ...».

النيات الباعثة على العزل:

وقد عد حجة الإسلام الغزالي – رحمه الله – في "الإحياء" من النيات الباعثة على العزل خمسا؛ فقال:

« **الأولى:** في السراري – وهو: حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق، وقد قصد استبقاء الملك: بترك الإعتاق، ودفع الأسباب ليس بمنهي عنه.

الثانية: استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق، وهذا أيضا ليس منهيا عنه.

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء، وهذا أيضا غير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

منهي عنه؛ فإن قلة الحرج معين على الدين، نعم: الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله، حيث قال:(***وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها***)، [هود: 6]، ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال، وترك الأفضل، ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره - مع كونه مناقضا للتوكل – لا نقول: إنه منهي عنه.

الرابعة: الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة، كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث؛ فهذه النية فاسدة. لو ترك بسببها أصل النكاح، أو أصل الوقاع؛ أثم بها، لا يترك النكاح والوطء، فكذا في العزل، والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أشد، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال، ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح.

الخامسة: أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرير من الطلق والنفاس والرضاع، وكان ذلك عادة نساء الخوارج؛ لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض، ولا يدخلن الخلاء إلا عراة؛ فهذه بدعة تخالف السنة، فهي نية فاسدة ».

ولا يخفى أن ما ذكر خاص بوسائل تحديد النسل الدائرة حول عدم وصول ماء الرجل إلى رحم المرأة، أما بعد وصوله إلى الرحم؛ فقد وقفت على قول بالجواز في المذهب المالكي، لكن مع الكراهة:

قال الدَرْدِيرُ في شرحه لقول الشيخ خليل – رحمهما الله: « ولزوجها – الأمَة – العزل إذا أذنت وسيدها؛ كالحرة إذا أذنت ». ما نصه: « ولا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين يوما، وإذا نفخت فيه الروح؛ حرم إجماعا »، قال الدسُوقي في حاشيته: « قوله: ولو قبل الأربعين. هو المعتمد، وقيل: يكره إخراجه قبل الأربعين ».

أما إتلاف الحمل بعد حدوثه – وهو ما يسمى في عرف الطب بـ: تحريض الإجهاض؛ فهو حرام، ولا يصار إليه إلا عند الضرورة القصوى، من وجود خطر يهدد حياة الحامل.

وقد ذكر الدكتور المصري: محمد عبد الحميد؛ في مقال نشره بمجلة "الإسلام" المصرية، منذ ثلاثين سنة: أنه من جملة الأسباب التي تحمل طبيبا على تحريض الإجهاض:

1 – السل الرئوي.
2 – الالتهاب الكلوي.
3 – أمراض القلب.
4 – ضعف القوة العقلية.
5 – الاضطرابات النفسية.
6 – القيء الذي يخافه على حياة الحامل.
7 – الترف الرحمي.

تحت شروط وقيود دقيقة، وعلامات قوية لا بد منها للطبيب؛ لكي لا يكون العمل جنائيا، وليس للطبيب أن يستبد برأيه في التحقق من هذه العلامات والشروط، بل لا بد له - ليكون مرتاح الضمير قبل الإقدام على عملية تحريض الإجهاض - من استشارة زميل له مختص – على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأقل – أو أكثر من زميل – على الأفضل – وأغلب الظن أنه داخل في قوله تعالى:(***ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة***). [البقرة: 195].

هذه دلائل العلاج الذي يمكن للفرد أن يقوم به بمحض اختياره.

الإسلام يحرم على الدولة اتخاذ تشريع إجباري في الموضوع:

نعم؛ يحرم الإسلام على الدولة اتخاذ أي تشريع إجباري في الموضوع؛ لأمرين:

أولهما: أن نقل الحكم من الاختياري إلى الإجباري بدون نص صحيح يعد تقدما على الله ورسوله، واتباعا للهوى، واتباعا للأولياء من دون الله، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله:(***يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله***)، [الحجرات: 1] وقال:(***فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين***)، [القصص: 50]. فقسم الأمر – كما قال ابن القيم في "أعلام الموقعين" – إلى أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى؛ فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى. وقال تعالى: (***اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون***)، [الأعراف: 3]. فأمر – كما قال ابن القيم أيضا – باتباع المنزل به خاصة، وأعلم بأن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء...

لا سيما إذا عرف المسلم أن من أئمة الإسلام من يحرم العزل الاختياري عن الحرة والأمة؛ وهو الإمام المجتهد، مجدد القرن الخامس، وفخر الأندلس: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة 456 هجرية؛ فإنه يقول في "المحلى": «ولا يحل العزل عن حرة ولا عن أمة؛ برهان ذلك: ما روياه من طريق مسلم: حدثنا عبيد الله بن سعد: نا[1] المقبري هو عبد الله بن يزيد: نا سعيد بن أبي أيوب: حدثني أبو الأسود هو تيم عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أناس؛ فسألوه عن العزل؛ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: ذلك الوأد الخفي. وقرأ: (***وإذا الموؤودة سئلت. بأي ذنب قتلت***)... »، وزاد ابن حزم فصرح بنسخ هذا الحديث للأحاديث الأخرى المبيحة للعزل؛ وتقدمت جملة منها.

والعالم المنصف لا يمكن أن يرد على ابن حزم فيدعي أن الأحاديث التي سبق إيراد جملة منها هي الناسخة للحديث هذا، ولكن الذي يمكن القول به: هو كراهة العزل الاختياري اعتمادا على حديث جذامة، وهو القول الذي صرح به العلامة أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي في: "الروضة الندية في شرح الدرر البهية"، فإنه بعد أن ذكر أدلة القائلين بالمنع وبالجواز؛ قال: «...ويمكن الجمع بحمل الأحاديث القاضية بالمنع على مجرد الكراهة فقط، من [القول] التحريم».

([1]) نا: اصطلاح لدى المحدثين بمعنى: أخبرنا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثانيهما: أنه مخالف للأحاديث الآمرة بالنكاح والتناسل ليكون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء أتباعا يوم القيامة، وهي مشهورة فلا نطيل بذكرها هنا.

والعلاج الثاني: يكون بالقيام بإصلاح واعي مستمد من كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ونهضة اقتصادية ثورية لا تحيد عن الإسلام قيد أنملة، تضمن الشغل للعاطلين، وتحل مشاكل المسلمين حلولا معقولة، لا ضرر فيها ولا ضرار، ويغبط المواطنين في الاقتصار على إنتاج بلادهم وبلاد المسلمين، وإيجاد التوازن بين الصادرات والواردات ضمانا للاستقرار، وتعالى الله أن يوجد نسمة بدون رزق وهو القائل: ***(وما من دابة إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)***، [هود: 6]. والقائل – كما في الحديث القدسي: « لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر».

غير أنه جعل لكل شيء سببا؛ فدعا إلى استخدام العقل البشري وجميع الطاقات البشرية فيما خلقت له، والآيات في الموضوع كثيرة وشهيرة، وقد تكفل بالتعليق عليها: العلامة المرحوم طنطاوي جوهري – رحمه الله – في كتابه الشهير: "القرآن والعلوم العصرية"، والأستاذ نوفل في كتبه العديدة الشهيرة.

ويسرني هنا أن أنقل للقراء الكرام الشطر الثاني من المقال القيم "من أجل الطيبات" الذي كتبه الأستاذ السيد فتحي عثمان بمناسبة الحملة ضد الجوع التي نظمتها هيئة الأغذية والزراعة بالأمم المتحدة، رادا به على القائلين بأن الجوع نتيجة نوع من القوانين الطبيعية، وقد نشرته مجلة "الأزهر" بتاريخ: صفر 1383 ، يوليوز 1963؛ قال – جزاه الله خيرا:

« القول بأن الجوع نتيجة نوع من القوانين البشرية قول لا يسنده رأي علمي، ومجرد تحليل بعض الأرقام يبين لنا أن هذا رأي غير حقيقي: فالمحيطات تغطي 71 %من مساحة سطح الأرض، 29% هي الجزء اليابس من مساحة السطح، وهي تبلغ 56 مليون ميل مربع، منها 30% تغطية الغابات، 20% تغطية السهول العشبية، 18%جبلي، 32% محررات حادة أو قطبية ».

« ويقرر روبرت سولتر، وهو من ثانتز من خبراء وزارة الزراعة في الولايات المتحدة، أن 25 مليونا من الأميال المربعة – أي: نصف مساحة اليابس فقط – يمكن استعماله في الزراعة بالطرق المتبعة حاليا في استغلال التربة، أما الجبال والصحارى؛ فلا تعتبر صالحة للزراعة ولو أن السنوات الأخيرة قد شهدت انتصارات ملحوظة حققتها طرق الزراعة الغنية في هذه البقاع، ومع ذلك؛ فإن هذا الرقم يضع تحت تصرف البشر 16 مليونا من الأفدنة يزرعونها، أي: بمعدل: ثمانية لكل فرد من السكان على أساس تعداد العالم الحاضر...».

« وقد قدر علماء الزراعة والتغذية الذين يدرسون العلاقة بين المساحة المنزرعة وإنتاج الطعام في ضوء علم التغذية الحديث، أنه: نحو فدانين لكل شخص يكفيان لتوفير العناصر الضرورية لغذاء معقول، وعلى أساس هذه النسبة: تستطيع الزراعة أن تستغل ربع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المساحة الصالحة للزراعة في العالم)).

((والى اليوم لم تبلغ المساحة المنزرعة في العالم أكثر من بليونين من الأفدنة، أي: بنسبة الثمن من المساحة الممكن زراعتها، وقد أسقطنا من حسابنا نصف مساحة اليابس، فالجبال والصحارى لم تحسب ضمن الأرض الصالحة للزراعة، مع أن مئات الآلاف من الأفدنة في الصحراوات المدارية قد تحولت أخيرا إلى الزراعة بفضل الأساليب الحديثة، وإن الروس يكسبون بطرقهم الزراعية المدهشة أراضي جديدة واسعة من الصحارى القطبية يحولونها إلى الزراعة)).

((ومن النظريات الأخرى التي تثير الفزع: القول بأن إنتاج الطعام لا يمكن زيادته لأننا بلغنا الحد الأقصى لطاقة التربة، وكذلك حدود التشبع البشري؛ ولكن الحقائق هي:

أولا: من الخمسين في المائة من أراضي العالم التي يمكن زراعتها لا يزرع إلا نحو عشرة في المائة.

ثانيا: إن غلة الفدان في أكثر جهات العالم يمكن زيادتها زيادة كبيرة باستعمال طرق زراعية معقولة)).

((ولقد انتهت لجنة منظمة الأغذية والزراعة التي طبعت التقرير الخاص بالتغذية في العالم إلى أن إنتاج القمح في الهند يمكن زيادته 30% في المائة في عشر سنوات: منها 20% بواسطة استخدام المخصبات، 5% بواسطة استعمال أصناف جديدة،5% بواسطة حماية المحصول من الآفات والحشرات...)).

((ويستطرد التقرير؛ فيقول: إنه بعد انقضاء هذه الفترة؛ قد تستخدم وسائل جديدة تؤدي إلى رفع هذه الزيادة إلى 50%، ويمكن أن يحدث نفس الشيء في جهات كثيرة من العالم)).

((ويقدر ريموند كريستنس أن نصف الزيادة في الإنتاج الزراعي بالولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية كان يرجع إلى إدخال طرق فنية جديدة..)).

((إن إمكانية علاج الحيوان المستأنس والنبات بوصفها وسائل إنتاج غذائي، تستطيع زيادة حصيلتها كما وكيفا، ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، استطاعت تربية الحيوان على أسس علمية أن تزيد من معدل إنتاج اللبن في الدانمرك من 2000 إلى 3200 رطل لكل رأس، وفي إنجلترا من 2700 إلى 3200 رطل، وفي نيوزيلندا من 2000 إلى 3100 رطل)).

((وهناك طريقة التوسع الزراعي؛ بزراعة أراضي جديدة وأنواع جديدة من التربات، وحيوانات جديدة للأغراض الغذائية، كذلك نستطيع استغلال موارد غذائية لم تطرق بعد؛ كالثروة الهائلة التي تزخر بها البحار، كما أنه من الممكن تربية الأحياء في مياه المحيطات لتزيد من موارد الإنسان الغذائية)).

((إن أول نصر كبير على الجوع سوف يأتي في شكل زيادة أساسية في الإنتاج العالمي للغذاء، وتقف الطبيعة والعلم كلاهما على استعداد للمعاونة في هذا السبيل)).

((وهناك مساحات شاسعة من الأراضي غير المستعملة تنتظر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الاستغلال، وتستطيع الفنون الزراعية أن توضح لنا أحسن طرق استغلالها، كما تستطيع أن تبين لنا كيف نريد استفادتنا من الأرض التي تزرع فعلا، وكذلك من البحر، أو حتى من مركبات المواد غير العضوية...)).

هكذا يبسط لنا خبير معهد التغذية لجامعة البرازيل: جوزوريه ديكاسترو، آمال العلم، والدين قرر أن لله رحمة وسعت كل شيء، والكون فطرة ليس فيها ثغرة، إذ هذا الكون من صنع الله الذي أتقن كل شيء، كما قرر للإنسان كرامته ومكانته في الكون وبين سائر الخلق. وهو بهذا كله ينفث خلال عقائد الإيمان الأساسية طاقات كبرى للانطلاق، إنه يفتح طاقات الإنسان في تأثر متبادل فعال.

يبذل الإنسان طاقاته في معالجة طاقات الكون، ويمنح الكون هذا الإنسان ما يحفظ عليه حياته وحيويته وطاقته؛ لينفق هذا كله في العمل في الكون. وهكذا تتفتح الطاقات هنا وهناك، ويبارك الإيمان هذه الطاقات العاملة التي تطلق آيات الله في الآفاق.

يكرم الإنسان؛ فيغدو الحفاظ على كرامة الإنسان فريضة الإيمان وشريعة الدين، ويبرز جلال الكون؛ فيجعل تأمله وتدبره والعلم بنواميسه، والعمل للإفادة من طاقته سياحة قدسية، وعبادة خاشعة: (***فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون***)، [الجمعة: 10]، (***هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور***). [الملك: 15].

وهكذا يطلق الدين قوى الإنسان في أنقى وأصفى حالاتنا لتعمل عملها مع قوى الطبيعة، تعمل بعد أن نقاها الإيمان من اليأس الكثير، والبطر المغرور، وصرف مشاعر الخوف والرجاء في الإنسان إلى من لا يتجبر بها لغير الحق، وهو غني عن العالمين، وآزره وهو يعالج الكون العملاق باستناد إلى باريء الكون وفاطر الإنسان، والتطلع إلى عالم آخر هو خير وأبقى في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين...

وهكذا تأتي العقيدة في الله تعزيزا لسعي الإنسان في سبيل الحياة...

تأتي إطـلاقا للقوة الإنسانية في أوسع مداها، وتسخيرا للقوى الكونية في شتى أسبابها، مع سد المساريب التي تتبدد منها هذه وتلك على السواء...

لقد ساق القرآن عقيدته في موكب من الحياة والخضرة والنور: (***إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون. فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم. وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون. وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون***).[الأنعام: 95- 98].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن هنا تنطلق كل الطاقات إلى أقصا الغايات في رحاب الإيمان، ويعبد الله بالابتغاء من فضل الله:

فيهون الجهد...
ويطوى الكون...
ويعز الإنسان...

وهذه هي البركات التي تتحدث عنها كتب السماء: (***ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم***). [الأعراف: 96، 97].

ومعلوم أن الخبراء الفنيين اعترفوا بأن المغرب يسع أكثر من خمسين مليونا من السكان، فما على الدول الإسلامية إلا أن تتقي الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتضاعف نشاطها في الميدان الاقتصادي، وتوحد جهودها في جميع الميادين، وتقضي على جميع أسباب التخلف؛ لتصبح قوة يحسب لها حسابها، وتحقق بذلك وعد الله سبحانه بإظهار الإسلام على الدين كله ولو كره المشركون، ويكون النبي – صلى الله عليه وسلم – أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة...

وليحذر المسلمون من المؤامرات التي تحاك ضدهم من بعض المنظمات الدولية التي يهولها ازدياد المسلمين في كل سنة، والخوف من تسنمهم ذروة الهيمنة على العالم مرة أخرى كما كانوا في عصور نهضتهم الذهبية حتى صاروا يبذلون عشرات بل مئات الملايين من السانتيمات للدول النامية إعانة لها على شراء الأدوية المانعة من الولادة والتقليل من مواليدها بمختلف الأسباب، وتأسيس الجمعيات وتنظيم الأسابيع وعقد المؤتمرات قصد التأثير على الرأي العام حتى يبادر إلى ذلك طائعا مختارا.

في الوقت الذي نرى فيه الصهيونيين يزداد عددهم، والأقليات غير الإسلامية في البلاد الإسلامية تتخذ جميع الوسائل لازدياد عددها، ليكثر عدد وزرائها في الدول الإسلامية وأعضائها في البرلمان، وتدرك مبتغاها في التقليل من أهمية الإسلام ببلادها.

وأستحضر هنا تصريحا أدلى به المرشال بيتان رئيس فرنسا غداة احتلال باريس من طرف دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية، ونشرته جل صحف الدنيا آنذاك، ومنها: جريدة "السعادة" بالمغرب، مفاده:

«أيها الفرنسيون؛ أنتم المسؤولون عن هزيمة فرنسا بتقليلكم من المواليد، لم أجد بجانبي أثناء المقاومة الفرنسية للمحور إلا أبناء مستعمراتنا؛ فهم الذين استطاعوا أن يقاوموا الهجوم الأجنبي على بلادنا ستة أشهر، ولو اعتمدت على الفرنسيين وحدهم؛ لما استطعت أن أقاوم في الميدان إلا مدة قليلة، أيها الفرنسيون؛ أكثروا من المواليد لتجدوا من يدافع عن بلادكم مرة أخرى...».

وحقا ما قاله أحد الأجانب: «إن المواليد لا يولدون ببطونهم فحسب؛ وإنما يولدون بعقولهم وبطونهم معا...».

وصدق الله تعالى في قوله: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}، [هود: 6]، وقوله: {وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه}.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

[فاطر: 11]، وليست حاجتنا منحصرة في الطبيب والصيدلي، والمهندس والمحامي؛ بل البناء والنجار، والحداد والخياط والعامل في طليعة حاجياتنا الضرورية، وبدونهم لا يستقيم أمر ولا يتقدم مجتمع، وناهيكم بشيء امتن علينا سبحانه به في قوله: {نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا}. [الزخرف: 32].

قال البيضاوي رحمه الله في تفسيره: «ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم، فيحصل بينهم تآلف ونظام ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسع، ولا لنقص في المقتر...».

{ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا}...آمين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

البـــر بالوالـــدين

قال الله – سبحانه وتعالى: (***وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا***). [الإسراء: 23، 24].

أمر الله – جل وعلا – وأوجب على عباده في هذه الآيات الكريمة:

أولا: أن لا يعبدوا إلا إياه، ومنع عليهم عبادة غيره، سواء كان صنما أو غيره، أو شيئا من أنواع الشرك الجلي أو الخفي.

ثانيا: أن يحسنوا إلى الوالدين إحسانا كبيرا، ويبروا بهما، ويعطفوا عليهما عطفا كثيرا.

ونظرا لأهمية الوالدين؛ قرن الإحسان إليهما بعبادته؛ لأنهما أولى الناس بذلك، وكيف لا وهما السبب في وجودك – أيها الإنسان – في الحياة وخوضك لغمارها، وتمتعك بسعادتها، وتسجيل صفحات المجد في تاريخها، وضمان مأكلك ومشربك وملبسك منذ أن نفخت فيك الروح إلى أن أصبحت رجلا، وحفظك من الشرور والآفات، وتربيتك التربية الحسنة التي تستطيع بها الفوز بالتقدير والاحترام من لدن مواطنيك؟.

وحيث إن الله تعالى خلقنا من ضعف، وجعل من بعد ضعف قوة، وجعل من بعد قوة ضعفا وشيبة؛ فإن الوالدين يحتاجان في المرحلة الأخيرة من حياتهما بالخصوص، إلى عناية خاصة تضمن سعادتهما، ولا يوجد أحد أولى من الأبناء بهائه العناية، يؤدون بها بعض ما في ذمتهم من أنواع الخير ومظاهر العطف التي خصهم بها آباؤهم قبل أن يستقلوا بأنفسهم ويستغنوا عنهم.

نعم؛ هناك أبناء أصيبوا باللؤم فيتنكرون لآبائهم إذا كبروا، ويتضجرون منهم إذا ضعفوا، فينهرونهم ويوبخونهم ويرفعون أصواتهم عليهم...نعوذ بالله من ذلك.

ثالثا: هاته النفوس هي التي نهاها خالقها ورازقها عن هذا الوصف الشنيع، مبتدئا نهيه بـ: إن. الشرطية، و: ما. الزائدة التي يوتى بها للتأكيد؛ فقال: [***إما***]، وأكد الفعل بنون التوكيد؛ فقال: [***يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما***]، فبصيرا في الضعف والعجز كما كنت أنت عندهما كذلك أولا؛ [***فلا تقل لهما أف***]، وهي: كلمة تضَجُّرٌ وكراهة؛ لأن الإنسان إذا سقط عليه شيء من تراب أو رماد نفخه بفمه ليزيله بقوله: «أف»، ثم توسع فيها فاستعملت في كل مكروه..

رابعا: أمر الأبناء أن يقولوا للآباء قولا حسنا جميلا في منتهى اللين ونهاية الأدب؛ فيقول لأحدهما: يا أباه، يا أماه.. ولا يسميهما باسمهما ولا بكناهما، بل إن العلماء قالوا: ينبغي له أن يخاطبهما كما يخاطب العبد الذليل سيده اللفظ الغليظ...

خامسا: أمر الأبناء أن يخفضوا لهما جناح الذل، ويلينوا لهما في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول؛ فلا يمتنعوا من شيء أحبوه. وهذا الذل ناشيء عن الرحمة والشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما إليك أيها الابن. وأجمع الأنبياء والعلماء ورجال الفكر على أن الذل أمام الله وأمام الوالدين هدف عظيم للعبد وللابن.

سادسا: أمر الأبناء بالدعاء لهما بصيغة: « رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » لأن العبد يبرهن على العجز عن إبداء حقوقهما، ويفوض إلى الله بالدعاء لهما سبحانه في إنزال شآبيب الرحمة عليهما.

ونظرا لأهمية الدور العظيم الذي تمثله الأم في تربية الأبناء؛ خصها الله تعالى بآيتين منفردتين؛ فبعد أن قال: [***ووصينا الإنسان بوالديه***]؛ زاد قائلا: [***حملته أمه وهنا على وهن***]: شدة على شدة. وما أكثر الشدائد التي تصيب الأم أثناء حملها الذي لا يعرف مقدار آلامها أثناءه إلا هي وحدها [***وفصاله***]: وفطامه [***في عامين***]، كلها تعب وآلام. ولا شك أن الأب يشارك الأم في شطر من تلك الأتعاب؛ ومن أجل ذلك أمر بشكرهما معا؛ فقال: [***أن اشكر لي ولوالديك***].[لقمان: 14].

ومعلوم أن العم بمنزلة الأب، والخالة بمنزلة الأم، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة...

إن لعاق الوالدين عقوبات كثيرة أفصح عنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أحاديثه الصحيحة التي ذكرها الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب"؛ وهي:

1. لعن النبي – صلى الله عليه وسلم – له.
2. عدم قبول أعماله كلها؛ فرضها ونفلها.
3. شقاؤه في الدنيا.
4. تعذيبه ساعة الموت.
5. نهيقه في قبره كما ينهق الحمار.
6. عدم نظر الله له يوم القيامة.
7. تحريم الجنة عليه.
8. عدم وجدانه ريحها الذي يراح من مسيرة خمسمائة عام.

فبروا آباءكم – أيها الإخوان – إن كانوا في عداد الأحياء بجميع أنواع البرور، وأطيعوا أوامرهم التي لا تخرج عن دائرة الإسلام، وفضلوهم على زوجاتكم وأولادكم، واجتنبوا كل ما يكدر صفوهم؛ يرض عنكم ربكم ونبيكم وصالح المؤمنين.

وزوروا قبورهم بعد موتهم كل أسبوع على الأقل، واقرؤوا ما تيسر من القرآن، وتصدقوا بما تيسر لكم من أنواع الصدقات، وقدموا ذلك هدية لأرواحهم الطاهرة:

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قد نقلت إليهما

لو كنت حيث هما وكانا بالبقا ... زاراك حبوا لا على قدميهما

أنسيت عهدهما عشية أسكنا ... دار البقى وسكنت في داريهما؟

ما كان ذنبهما إليك وإنما ... منحاك صفو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الود من نفسيهما

كانا إذا ما أبصرا لك علة جزعا لما
تشكو وشق عليهما

كانا إذا سمعا أنينك أسبلا دمعيهما أسفا
على خذيهما

وإذا استطعتم أن تستدعوا حفظة القرآن الكريم إلى منازلكم مرة في كل سنة ليختموا سلكة من القرآن، ويهدوا ثوابها لأرواحهم الكريمة؛ فنعم العمل.

واعتنوا بأصدقاء آبائكم؛ فإن العناية بهم تدخل السرور على آبائكم في قبورهم وفي دار البرزخ، وتتسبب في الزيادة في أرزاقكم وأعماركم...

وليقل كل واحد في جميع أوقات الخير: رب ارحم والدي ووالدتي كما ربياني صغيرا، اللهم ارحم آباءنا وأمهاتنا رحمة واسعة، واجعلهم في مقعد صدق عندك مع المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من عناية الإسلام بالجانب الروحي للطفل

يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم: « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه ». رواه ابن النجار في تاريخه، والشيرازي في فوائده الحديثية عن علي رضي الله عنه.

الشرح والبيان

وضع الإسلام مخططات لجميع مناحي الحياة، وعلق سعادة الأمة الدينية والدنيوية على تطبيقها، والطفل معدود في طليعة المهام التي اعتنى بها الإسلام:

فهو – أولا – دعا إلى الزواج، وجعله عقد شركة بين الرجل والمرأة ليغذيا العاطفة الجنسية بينهما، ويحافظا على نقاء المجتمع، وبيتعدا عن الفاحشة، ويشاركا في تكوين مجتمع سليم طاهر، مبتعد عن الأوبئة، وينجبا أطفالا يخلفون آباءهم في الحياة، ويحافظون على ثروتهم، ويشاركون في عمارة الدنيا بما يقومون به من أعمال، ودعا إلى اختيار المرأة من صنف المتشبثات بتعاليمه، وفضلها على ذات المال والجمال والحسب، وحتى النسب إذا كانت النسبية مبتعدة عن الدين، وفضل المرأة الولود السوداء على المرأة العقيم الحسناء.

وهو – ثانيا – دعا إلى رعاية الطفل وهو في رحم أمه، حتى لا يصاب بأذى، ولو كان هذا الأذى يصيبه عن طريق الاتصال الجنسي بأمه (أي: اتصال الوالد) فإن الاتصال حينئذ يصبح منهيا عنه؛ لأنه عرض له ما يبعده عن المشروعية.

وهو – ثالثا – يرعاه أثناء رضاعه، ويحيطه بسياج من الحفظ، ويجعل أقصى أمد الرضاعة: حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وأوجب على الزوج أن ينفق على أولاده حتى يصبحوا رجالا، وأوجب عليه أن ينفق على زوجته المطلقة حتى تضع حملها، وأمر بتمديد الإنفاق على الطفل حتى يصبح رجلا قادرا على الكسب.

وهو – رابعا – حرم قتل الطفلة، التي كانت عادة سائغة في الجاهلية خشية الإملاق أو العار، وأعطاها حق التمتع بالحياة التي وهبها الله لها، وأمر بتعليمها وتهذيبها وتزويجها، وجعلها حجابا من النار يوم القيامة لمن تحمل أعباءها وقام بشؤونها

وهو – خامسا – متع الطفل – ذكرا كان أم أنثى – بجميع الحقوق التي أعلنها ميثاق حقوق الطفل قبل أن يبرز بأربعة عشر قرنا

وهو – سادسا – اعتنى بجميع مظاهر حياة الطفل – كانت روحية أو مادية – بكيفية مستقيمة لم يسبق إليها.

والمنظمات الدولية اليوم لا تعتني إلا بالناحية المادية فقط، وإذا اعتنت ببعض مظاهر الحياة الروحية؛ فإنما هو اعتناء سطحي مشوب بخرافات وانحرافات أدت بالعالم إلى حربين عالميتين، يوشك أن تؤدي به إلى حرب عالمية ثالثة لا يُعْلَمُ مصير العالم بعدها...

وسأتناول هنا ثلاثة مظاهر من عناية الإسلام بالجانب الروحي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للطفل:

أجل؛ في هذا الحديث خاطب النبي – صلى الله عليه وسلم – الآباء والأجداد وكل كافلي اليتامى، وأمرهم أن يدربوا وينشئوا أولادهم ومكفوليهم على ملازمة خصال ثلاث، وخصها لأنها أهم ما يجب تعليمه للطفل - كما قال المُناوي رحمه الله.

أولها: حب النبي – صلى الله عليه وسلم – يعني: المحبة الإيمانية المخلصة الطبيعية؛ لأنها غير اختيارية، وهي تستلزم امتثال الأوامر والإنتهاء عن النواهي التي نهي عنها، واتخاذه أسوة، والدفاع عن دينه باللسان والسيف والقلم، والموت في سبيله إن اقتضى الحال، وفي ذلك سعادة البشرية، وإبقاء على تماسك المجتمع الإسلامي كي يؤدي رسالته السماوية كاملة، ويورثها لأبنائه من بعده.

ومن مظاهر المحبة: تعليم الأبناء سيرة رسول الله من مصادرها الصحيحة، وتلقينهم أن طاعته واجبة.

وتوسع الإمام ابن القيم – رحمه الله – فذكر نماذج فيما يجب أن يلقنه الأطفال؛ يقول فيها: « يجب أن يكون أول ما يقرع سمعهم: معرفة الله وتوحيده، وأنه يسمع كلامهم، وأنه معهم حيثما كانوا، وكذلك كان بنو إسرائيل يفعلون، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، بحيث إذا عقل الطفل ووعى؛ علم أنه عبد الله، ثم يعرفه بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ووجوب محبته ».

وثانيها: حب آل بيته؛ وهم أصحاب العَبَاءة الذين هم: رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وساداتنا: فاطمة وعلي، والحسن والحسين – رضي الله عنهم.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم – رحمهم الله – عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت: « خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – غداة وعليه مَرْط مُرَجّل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة، ثم جاء علي فأدخله معهم؛ ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ».

ويلحق بهم نساؤه صلى الله عليه وسلم كما ذهب إليه جمهور المفسرين.

وقد تكررت من النبي – صلى الله عليه وسلم – الوصية بأهل بيته:

أخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم – رضي الله عنه – قال: قام فينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطيبا؛ فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: « أما بعد أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبه، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به »، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: « أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي »، فقال له حُصين – يعني ابن سبرة – أليس نساؤه من أهل بيته؟، قال: نساؤه من أهل بيته؛ لكن أهل بيته: من حرم عليهم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟، قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس؛ كل هؤلاء حرم الصدقة. قال: نعم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد نظم هذه الفقرة الأخيرة من الحديث بعض العلماء؛ فقال:

علي وعباس عَقِيل وجعفر وحمزة هم آل النبي بلا نُكْر

وفي "الصحيح" أنه صلى الله عليه وسلم قال – يعني: في قرابته -: « والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم مني ».

وفي "الصحيح" عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال: « ارقبوا محمدا في أهل بيته ».

قال الإمام محمد بن علان المكي – رحمه الله – في "شرح رياض الصالحين": «ارقبوا: أي راعوه واحترموه »، وقال غيره: « ارقبوه: أي شاهدوه ».

وإنما كانت محبة أهل البيت كذلك؛ لأنهم أجزاء من ذات الرسول المختارة من بني هاشم التي هي أفضل المخلوقات على الإطلاق، زد على هذا: أن المحبة تستلزم مزيد التعلق بالرسول، والفناء في تطبيق تعاليمه، واتباع توجيهاته، وكل واحد منهم يجب أن يكون نموذجا لجده، وداعية إلى سلوك محبته.

وهذا لا يمنع من إقامة الحدود عليهم إذا تعدوا حدود الله، وتوجيه النكير عليهم إذا عصوا رسول الله.

قال الشيخ محيي الدين بن عربي الحـــاتمي – رضي الله عنه – في "الفتوحات المكية": « فمن أتى منهم حدا؛ أقيم؛ كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب الخمر؛ أقيم عليه الحد؛ كماعز وأمثاله».

وهذه النصوص تعد تفسيرا لقوله تعالى: {قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}، [الشورى: 23]. والقربى: مصدر بمعنى القرابة، وهو على تقدير مضاف؛ أي: ذوي القرابة، بمعنى: الأقرباء. أي: قل – يا محمد – لمن اتبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتكم به من القرآن أجرا إلا أن تودوا قرابتي. كذا قال جماعة من المفسرين.

و ثالثها: قراءة القرآن؛ لأن القرآن حبل الله الممدود بين السماء والأرض، من اعتصم به نجا، ومن استمسك به هُدي إلى الصراط المستقيم، اشتمل على خلاصة الكتب السماوية كلها؛ فهو يغني عنها ولا تغني عنه؛ لأن التحريف والتزوير أصابها من أهلها، وهو الكتاب المعصوم من الخطأ؛ الذي ضمن الله - جل جلاله - حفظه بنفسه، وهو دائرة العلوم والمعارف التي تغذي البشرية بكل ما هي في حاجة إليه من التشريعات والقوانين، والأخلاق والآداب، والمعارف والعلوم؛ ولذلك وضع الأجانب مخططات لإبعاده من مناهج الدراسة بجميع البلدان الإسلامية التي استعمروها، ونجحوا في ذلك بعض النجاح؛ لكن بوادر الفشل أصبحت تظهر في جميع البلاد الإسلامية التي تنبهت لذلك وطالبت بإعادة النظر في جميع برامج التعليم وقوانين البلاد لكي تستدرك ما فات، وهي إعادة يجب أن تشمل حتى كليات الطب والصيدلة والهندسة وتكوين الأطر، وقوانين جميع الوزارات.

ولا يحب المسلم القرآن محبة حقيقية حتى يعمل به ويجعله نصب عينيه آناء الليل وأطراف النهار، ويتدارسه بينه وبين أبنائه ومريديه وإخوانه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وختم رسول الله الحديث: بأن حَفَظَة القرآن عن ظهر قلب، المداومين لتلاوته، العاملين بأحكامه؛ يكونون يوم القيامة مع الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم للوساطة بينه وبين خلقه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وذلك يوم القيامة إذا دنت الشمس من رؤوس الخلائق، واشتد عليهم حرها.

ويستفاد من هذا الحديث:

1) وجوب محبة الرسول.
2) وجوب محبة أهل البيت النبوي.
3) وجوب محبة القرآن.

كما يستفاد منه:

4) أن حفظة القرآن الكريم، التالين له، العاملين به؛ يستظلون بظل العرش، الذي هو أعظم من الكرسي، وهذا الأخير أعظم من السماوات والأرض، كما نص عليه القرآن في قوله: {وسع كرسيه السماوات والأرض}.[البقرة: 255].

5) مشاركة حفظة القرآن الكريم للأنبياء والأصفياء في المكانة السامية التي يحتلونها في ظل العرش قبل الدخول إلى الجنة.

قال المُناوي: ((*فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه؛ فقد أساء إليه، وأكثر عقوق الأولاد إخبارا بسبب الإهمال أولا، ومن ثم قال بعضهم لأبيه: أضعتني وليدا فأضعتك شيخا...*)).

فإذا كان المناوي قال هذا في القرن الحادي عشر؛ فماذا يقول رجال القرن الرابع عشر الذي استعمرت فيه وفي القرنين قبله معظم البلاد الإسلامية ؟؟، وألغي تعليم القرآن والتوحيد والتربية الإسلامية من المدارس الرسمية ؟؟، إلا ما ندر، وإذا بقيت بعض الرسوم الصورية؛ فإن الامتحانات لا تشملها.

ورغما عن كون بعض البلاد الإسلامية استقلت؛ فإن مدارس البعثات الأجنبية لازالت قائمة تسقي السم لأبناء المسلمين، وهي موضع ثقة من أغنيائنا ومثقفينا، ووقفة قصيرة أمامها ساعة الدخول أو الخروج تحملك على الإشفاق على بلادك، وإبداء التخوف على وقوعها في هوة سحيقة لا قعر لها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهم المسلمين طرق الصواب، ويحليهم بحلية أولي الألباب... آمين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هل يفسد التلفزيون ولا يصلح ؟

جهاز التلفزيو سيف ذو حدين؛ فإذا استعمل في تلقين العلم ونشر المعرفة وبث الفضيلة وإشاعة الوعي الإسلامي والترهيب من الانحلال الخلقي – سواء بواسطة الخبر الموجه لصالح الإسلام، أو المحاضرة أو الدرس، أو بواسطة التمثيليات والندوات والأفلام – كان أهم وسيلة تثقيفية عرفها تاريخ القرن العشرين.

وإذا استعمل في عرض التمثيليات الخليعة، والمسلسلات الدولية التي تُعلم الانتحار والفجور، والميوعة، وتخدر الشعوب وتنومها، ونقل الخبر الموجه لصالح جهة معينة تتقمص المثل العليا قولا، وهي تعمل على تنحيتها من مسرح الوجود فعلا؛ فإن التلفزيون – حينئذ – يفسد ولا يصلح. ومثال المفسدين معلوم.

ومنذ ظهر التلفزيون بالبلاد الإسلامية وهو يفسد وقلما يصلح، والمتتبع لحالة المغرب الاجتماعية منذ أن أصبح له جهاز تلفزيون يلاحظ الفرق العظيم بين الأمس واليوم فيما كانت عليه هذه الحالة وما آلت إليه؛ والسبب هو: التلفزيون لا غير.

نعم؛ للسينما يد في فساد الأوضاع الاجتماعية، ولكنها بالنسبة إلى التلفزيون لا تمثل حتى عشرة في المائة؛ لأن التلفزيون دخل علينا بيوتنا في حين أن السينما إنما تؤثر فيمن يسعون إليها، ويَغْشَوْن دورها، وهؤلاء قلة لا تقاس بمشاهدي التلفزيون – وهم سكان المغرب أجمع.

وأنا لا أشبهه إلا بأداة للهدم، وغالب برامجه إنما هي معاول تعمل في مقدساتنا وتنقضها لبنة تلو لبنة، والغريب أنهم يختمون هذه البرامج بآيات بينات من الذكر الحكيم، الداعي لكل صلاح، والمحارب لكل فساد، ويلتفتون إلى الناحية التربوية الإصلاحية في رمضان خاصة؛ فيكثرون من الأحاديث التي يسمونها بالدينية، كأنهم يعتقدون أن الإسلام خاص برمضان، وإذا ما ظهر هلال شوال؛ رجعوا إلى برامجهم العادية.

لو قدر للمشرفين على البرامج التلفزيونية أن يخالطوا المجتمع المغربي لعرفوا نتائج أعمالهم، ولو قدر لهم أن ينظروا بعين الاعتبار لأحوالهم؛ لعرفوا أن ما هم فيه من مصائب هو من أثر هذه البرامج.

وصدق الله الذي يقول: {وما أصابكم من مصيبة مما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير}.[الشورى: 30].

أكتب هذه الكلمة إثر ما شهدته في التلفزيون الذي أجري حديثا مع فنان وفنانة (...) بكيفية مائعة، وأبت هذه الأخيرة أن تظهر أمام الجمهور إلا بلباس يبتعد عن لباس الحشمة بون شاسع، معطية بذلك القدوة السيئة لغيرها من النساء والبنات، وأبت إلا أن تعلن بأن والدها المسلم الغيور كان يعارضها في الظهور أمام الجمهور لتعاطي حرفة الغناء، واعتقدت أنها وصلت إلى قمة المجد حينما ظهرت من جديد يوم السبت الموالي وكأنها ممثلة متن القمر تغازل أخاها مغازلة الرجل لزوجته في المخدع، لتلقن بذلك للنظارة درسا من دروس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الرذيلة.

سمعنا كثيرا بأن التلفزيون سيدخل مرحلة جديدة في عهد الوزير الجديد – المعروف باستقامته ونزاهته – فإذا بدار لقمان على حالها، كأن أيديا خفية تسير الجهاز بافتيات على الجميع...

وزادت التلفزة؛ فأحيت الليلة الأولى ذكرى مرور أربعين يوما على وفاة "فنان" من فنانيها، ونحن لا نعيب على التلفزة هذا الاحتفال ونطالبها بإنزال الناس منازلهم؛ وإنما نرغب في التسوية بين الفنانين ورجال العلم الذين هم ورثة الأنبياء، فكثير منهم تغيب شمسه ولا تتفضل دار الإذاعة والتلفزيون حتى بإبلاغ خبر موته للمواطنين، وأما أن تتحدث عن حياته ولو بكلمة قصيرة – فأحرى أن تقيم ذكرى أربعينية – فذلك من أبعد الأشياء عن برامجها وحصصها؛ فعلى الأقل ساووا العلماء مع المغنين، والمصلحين مع...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

منزلة كافل اليتيم في الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا...»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا. رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه.

الشرح والبيان

دعا الإسلام في غير ما آية وحديث إلى الإحسان؛ ويكفي أن أذكر قوله سبحانه: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين...). [البقرة: 195]. وقوله صلى الله عليه وسلم: « إن الله كتب الإحسان على كل شئ »، رواه مسلم عن أبي يعلى شداد بن أوس – رضي الله عنه.

والإخلاص: أعلى درجات الإحسان الذي شرحه - رسول الله صلى الله عليه وسلم – بقوله: « الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »، رواه مسلم وغيره عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه.

وإيصال النفع إلى الغير أوسطها أن يقول: أحسن إلي فلان. إذا أوصل إليه نفعا.

وإجادة العمل: أدناها أن يقول: أحْسَن في كذا. إذا أجاد فعله .

ونظرا إلى أهمية الإحسان؛ ضمن الله – سبحانه وتعالى – لصاحبه:

أولا: عدم ضياع أجره؛ بمقتضى قوله عز من قائل: {إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا}. [الكهف: 30].

ثانيا: الاستمساك بالعروة الوثقى؛ بمقتضى قوله جل قدسه: ***(ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)***. [لقمان: 22].

ثالثا: معية الله له؛ بمقتضى قوله عم بره: (***إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون***). [النحل: 128].

رابعا: الدخول إلى الجنة؛ بمقتضى قوله عزت كلمته: (***للذين أحسنوا الحسنى***}. [يونس: 26].

خامسا: النظر إلى وجه الله؛ بمقتضى قوله عطفا على الآية السابقة: **{وزيادة}**، وقد فسر النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية بالنظر إلى وجهه سبحانه وتعالى، كما في حديث أخرجه مسلم في صحيحه.

ومن أهم أنواع الإحسان: أولا: أن تحسن إلى نفسك؛ فتجنبها سخط الله، وذلك بترك المعاصي، وفعل الطاعات، وأن تحسن – ثانيا – إلى أعضاء المجتمع الذي تعيش فيه، أو قدر لك الاتصال به. **ولعل اليتيم أولى الناس بالإحسان إليه بعد أقاربك.**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومعلوم أن اليتيم هو: الذي مات والده وهو دون البلوغ؛ فانفرد عنه. **واليُتم:** الانفراد، ومنه قولهم: الدرة اليتيمة، ويعنون بها: المنفردة في صفائها.

وما أكثر اليتامى في المجتمعات البشرية، الذين فقدوا آباءهم في وقت هم أحوج ما يكونون إلى عطفهم وبرهم، وعملهم على ضمان مستقبلهم.

وحيث إن الإسلام قد نطق بها كلمة خالدة: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »؛ فقد اختار – سبحانه وتعالى – في الأزل مجموعة من عبيده المخلصين أقامهم مقام الآباء في السهر على تربية اليتامى والبرور بهم، ووعدهم بأنواع عديدة من الخير.

وأعتقد – ويعتقد معي كل مسلم – أن أهمها على الإطلاق: هو ما تضمنه هذا الحديث الشريف: « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا.

وكان القصد من إشارته: زيادة التبيين وإدخال المعاني في ذهن السامع لكونها بصورة المحسوس المدركة عادة. والسبابة: هي الأصبع الذي يلي الإبهام؛ سميت بذلك: لأنه يُسَبُّ بها الشيطان، وتسمى أيضا: بالسباحة؛ لأنه يسبِّح بها في الصلاة، ويشار بها في التشهد لذلك، والوسطى: هي الأصبع التي تلي السبابة. أفاده ابن علان في شرحه لـ: "رياض الصالحين".

والحديث صريح في أن منزلة كافل اليتيم قريبة من منزلة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا منزلة أعظم من القرب من خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد المخلوقين .

وقد تبارى العلماء في التعليق على هذا الحديث الشريف، ويسعدني أن أقدم لكم نماذج من ذلك:

قال الإمام القرطبي – رحمه الله: « معنى قوله: أنا وكافل اليتيم كهاتين. أنه: معه فيها وبحضرته، غير أن كل واحد منهما على درجته فيها؛ إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم، ولا يبلغ درجة نبينا أحد من الأنبياء، وإلى هذا المعنى الإشارة بقِرانِه بين أصبعيه؛ فيفهم من الجمع: المعية والحضور، ومن تفاوت ما بينهما: اختصاص كل منهما بدرجة ومنزلة».

وقال العلامة ابن علان المكي – رحمه الله: « ويحتمل أن يكون المراد: أقرب المنزلة حال دخول الجنة، فما أخرجه أبو يعلى – رحمه الله – من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – رفعه: أنا أول من يفتح باب الجنة، فإذا امرأة تبادرني لتدخل معي في الجنة – أو في أثري – فأقول: من أنت ؟، فتقول: أنا امرأة قائمة على أيتام لي...».

وقال الحافظ العراقي – رحمه الله: « وأفاد الحافظ النَوَوي – رحمه الله – في "شرح مسلم" أن هذه الفضيلة: تحصل لمن كفل اليتيم من مال نفسه، أو مال اليتيم بولاية شرعية».

وتتحقق كفالة اليتيم بما يلي:

1) إسكانه في بيتك أو في بيت غيرك على أساس أن تؤدي واجب كرائه أنت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

2) إطعامه مما تطعم.
3) إلباسه مما تلبس.
4) معاملته بمزيد الرعاية.
5) تعليمه وتهذيبه كما تعلم ابنك وتهذبه.
6) المحافظة على ثروته التي ورثها من والده – إن كانت – وإذا اضطر الكافل إلى الاستفادة منها؛ فليستفد منها بمعروف، امتثالا لقوله تعالى: (***وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف***). [النساء: 6].
7) عدم الإجحاف بحقه عند إرادة زواجه؛ وذلك: بمراعاة الكفاءة الشرعية في الزوج الذي يتزوج باليتيمة، وفي اليتيمة التي تتزوج بالزوج، ويسلم الزوجة المهر الذي تستحقه.

وقد زاد – سبحانه – كافل اليتيم نوعين آخرين من الفضل؛ وهما:

1) لين قلبه وسهولته.
2) إدراك حاجته والظفر بمطلوبه.

أخرج الطبراني – رحمه الله – عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له: « أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟؛ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ يلن قلبك وتدرك حاجتك». **والمقصود من مسح رأسه:** إعطاء الدليل على حنوه عليه واستعداده للبرور به.

وهذا الحديث الشريف ينص على كون هذا المسح يخلص صاحبه من داء قسوة القلب المبعدة عن خالق الكون سبحانه، هاته القسوة التي قال الله عنها: (***فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله***). [الزمر: 22]. وورد في عدة أخبار أن أبعد القلوب عن الله: القلب القاسي. بل ورد في هذا المسح حديث خاص أخرجه أحمد والترمذي – رحمهما الله – عن أبي أمامة – رضي الله عنه – وهو قوله صلى الله عليه وسلم: « من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله؛ كان له بدل كل شعرة تمر عليها يده حسنة ».

ومن سماحة الإسلام: أنه لم يقيد اليتيم أنه من أبناء المسلمين، بل أطلق؛ ليعم أبناء الكفار – كما قرأته في شرح المناوي على "الجامع الصغير"؛ لأنه دين الإنسانية، دين العدالة، دين المساواة، دين الإحسان...

وأخرج مسلم هذا الحديث عن أبي هريرة بزيادة؛ ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كافل اليتيم – له أو لغيره – أنا وهو كهاتين في الجنة ». وأشار الراوي – وهو: مالك بن أنس – بالسبابة والوسطى.

قال الحافظ النووي في "رياض الصالحين": « قوله صلى الله عليه وسلم: اليتيم له ولغيره. معناه: قريبه أو الأجنبي منه. فالقريب: مثل أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تكلفه أمه أو جده أو أخوه...أو غيرهم من قرابته)).

ويرحم الله الإمام ابن بَطَّال حيث قال: ((حق على من يسمع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك...)).

اللهم أحسن الينا بجميع أنواع الإحسان، واكتبنا في زمرة المحسنين، واجعلنا من رفقاء نبيك – صلى الله عليه وسلم – في الجنة...آمين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأهل من الرضاع

أمك من الرضاع: من أرضعتك أو أرضعت من له عليك ولادة، وأمهاتها.

وأختك: من رَضَعَتْ معك على امرأة، وكل بنت ولدتها مرضعتك أو فحلها المنسوب له ذلك اللبن.

وبنتك: كل من أَرْضَعَتْه زوجتك بلبنك، أو أرْضَعَتْها بنتك من نسب أو رضاع.

وأخوات الفحل: عماتك وأخوات **المرضع:** خالاتك. **وبنات الأخ:** من أرضعته زوجة ابنك بلبنه. **وبنات الأخت:** من أرضعته أختك.

ومثل النسب: الصهر. ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، واستثنى العلماء ست مسائل:

1. إلا أم أخيك.
2. أو أختك.
3. وأم ولد ولدك.
4. وجدة ولدك.
5. وأخت ولدك.
6. وأم خالك وخالتك.

فقد لا يحرم من الرضاع:

- لو أرضعت أجنبية أخاك أو أختك؛ لم تحرم عليك.
- لو أرضعت امرأة ولد ولدك؛ لم تحرم عليك.
- لو أرضعت أجنبية ولدك؛ لم تحرم عليك أمها.
- لو أرضعت امرأة ولدك؛ فلك نكاح أخته من الرضاع.
- لو أرضعت أجنبية عمك أو عمتك، لم تحرم عليك.

العقد على البنات يحرم الأمهات !.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عناية الإسلام بالرقيق

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «إخوانكم خَوَلُـكُم، جعلهم الله قنية تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يده؛ فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه؛ فليُعِنْه». رواه الأئمة: أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود، والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر – رضي الله عنه.

الشرح والبيان

أشرقت شمس الإسلام على الدنيا وعادة استرقاق الأخ لأخيه منتشرة في المجتمعات البشرية انتشارا مهولا – سواء منها اليونانية أو الرومانية، اليهودية والعربية – وكانت أسباب الاسترقاق هي:

1) الأسر في الحرب.
2) الولادة من أبوين رقيقين.
3) الدَّيْن المترتب على المدين الذي لا يستطيع الوفاء به.
4) الفرار من الجيش الوطني.
5) ارتكاب خطيئة من الخطايا الممنوعة في الدين؛ وهذا السبب كان خاصا بالمجتمع اليهودي
6) التهافت على تحصيل الثروة عن طريق سرقة الأحرار وبيعهم في الأسواق.

وقد ألغى نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم - أكثر أسباب الرق، ولم يبق منها إلا: الأسر في الحرب؛ لأنه ضرورة اجتماعية لا بد منها، وزاد فخير أمير المؤمنين بين الحكم على الأسرى بالرق، وبين المن عليهم بإطلاق سراحهم – إن رأى في ذلك مصلحة – وبين أخذ الفداء منهم في إطلاق سراحهم، ولو كان هذا الفداء: تعليم القراءة والكتابة لثلة من المسلمين.

ومن سنن الإسلام أثناء التشريع: أنه كان يستعمل سياسة المراحل في القضاء على العادات القبيحة التي كانت مستحكمة في النفوس، أو في فرض تشريع يشق على النفس في أول الأمر؛ كما فعل في تحريم الخمر والربا، وفرض الصلاة والجهاد وصيام رمضان، وكما فعل في عدة المرأة المتوفى عنها زوجها...وشرح ذلك يطول.

وإذا كانت هناك عادة يتعذر القضاء عليها لحاجة المجتمع إليها في بعض الأحيان؛ كعادة الرقيق؛ فإنه فتح لها منافذ عديدة من شأنها أن تقضي عليها تدريجيا كلما وجدت، وأذكر من هذه المنافذ أن الإسلام:

1) جعل تحرير الرقاب هو المصرف الخامس من مصارف الزكاة الثمانية.
2) جعل تحرير الرقبة هو النوع الأول من الأنواع الثلاثة الواردة في كفارة الظِهار؛ أي: حينما يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. ثم يندم على ما قال ويريد مَسَّها من جديد.
3) جعل تحرير رقبة مؤمنة هو الشطر الأول من النوع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأول في كفارة من قتل مؤمنا خطأ، والشطر الثاني: هو الدية.

4) جعل تحرير رقبة (هو النوع الأول) من الأنواع الثلاثة في كفارة من أفطر في نهار رمضان عمدا.

5) جعل تحرير رقبة هو النوع الثالث من الأنواع الأربعة الواردة في كفارة الأيمان إذا حلفنا.

6) جعل تحرير رقبة من أنواع كفارة النذر؛ للأحاديث الصحيحة المفيدة بأن: من نذر نذرا لم يُسَمه، أو كان معصية، أو لا يطيقه؛ فكفارته كفارة يمين.

7) أعلن نبي الإسلام – عليه الصلاة والسلام – بأن من ضرب غلاما له أو لطمه ظلما؛ فإن كفارته: أن يعتقه. أخرجه مسلم – رحمه الله – عن ابن عمر – رضي الله عنهما.

8) حكم بأن عبد الكافر إذا أسلم ثبتت له الحرية. أخرج أحمد وابن أبي شيبة – رحمهما الله – من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «أعتق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الطائف من خرج إليه من عبيد المشركين». وسماهم في حديث أخرجه أبو داود والترمذي وصححه، عن سيدنا علي – رضي الله عنه: « عتقاء الله عز وجل ».

زد على ما ذكر: أن الإسلام استحب المكاتبة والتدبير؛ **والمكاتبة:** هي أن يتفق السيد مع عبده على قدر من المال يستلمه منه في مقابل تحريره؛ وحينئذ يترك له سيده الحرية في الاتجار والعمل قصد توفير القدر المتفق عليه قد أمر بها القرآن في قوله: (***والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا***).[النور: 33].

والتدبير: هو أن يقول السيد لعبده: أنت حر عن دبر مني؛ أي: بعد موتي. وحديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – في الصحيحين أن: رجلا أعتق غلاما له عن دبر. يعد من النصوص الواردة في الموضوع.

كما أنه نهي عن بيع أمهات الأولاد، وحكم بحريتهن إذا مات أسيادهن؛ لحديث الدارقطني عن ابن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه: نهى عن بيع أمهات الأولاد؛ وقال: «لا يُبَعْن، ولا يوهَبن، ولا يُوَرَّثن». يستمتع بها السيد ما دام حيا، وإذا مات؛ فهي حرة.

وأما ترغيب الشرع في تحرير الرقاب بدون مقابل؛ فأقتصر فيه على آية وحديث:

أما الآية؛ فهي: قوله سبحانه وتعالى: (***فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة***). [البلد: 11- 16]. والاقتحام: هو الدخول في شيء بمشقة. وعبر بالعقبة عن الأمر الشاق، وهذا في غاية الذم لمن قال: أهلكت مالا لبدا. أي: متلبد بعضه على بعض. فقال عز وجل: فعل ذلك في غير طاعة الله وشق عليه أن يفك رقبة، أو يطعم يتيما أو مسكينا في المجاعة؛ لأن المسغبة: المجاعة، مع أن ذلك يفرح الناس إذا قدروا عليه في ذلك الوقت؛ لكنه صار عقبة بالنسبة إلى هذا. قاله العز بن عبد السلام في "الفوائد في مشكل القرآن".

وأما الحديث؛ فهو: قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وغيرهما عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أعتق رقبة مسلمة؛ أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار؛ حتى فرجه بفرجه)).

وأكبر شرف حصل عليه العبيد: هو المساواة بينهم وبين ساداتهم في جميع الحقوق والآداب، وربما يبزونهم؛ فيصيحون أفضل منهم عند الله وعند صالحي المؤمنين؛ كما يعلن عن ذلك قوله سبحانه: (***يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير***). [الحجرات: 13]. وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البيهقي – رحمه الله – عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع؛ فقال: ((يا أيها الناس؛ إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد؛ ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟؟))، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((فليبلغ الشاهد الغائب)).

والحديث الذي أشرحه في هذا العدد من الأحاديث الهامة الواردة في العناية بالرقيق والخدم، وسبب نطقه صلى الله عليه وسلم به أفادنا به المعرور بن سويد – رحمه الله – كما في صحيحي البخاري ومسلم، قال: رأيت أبا ذر – رضي الله عنه – وعليه حُلة وعلى غلامه مثلها؛ فسألته عن ذلك؛ فذكر أنه سَابَّ رجلا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعيره بأمه؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم وخَوَلكم...إلخ)).

وقد أخبرنا فيه صلى الله عليه وسلم بأن عبيدنا معدودون من إخواننا في الإنسانية؛ لأننا متجذرون من أب واحد هو: سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، وأم واحدة هي: سيدتنا حواء عليها السلام، وعبر بالخول: جمع خائل؛ وهو: الخادم؛ سمي بذلك لأنه يتخول الأمور، أي: يصلحها، ومنه: الخَوَلي: الذي يصلح البستان. وصرح بواقع لا جدال فيه؛ وهو: أن الله جعلهم قِنْيَة وملكا تحت أيدينا وتصرفنا. كنى باليد الحسية على اليد المعنوية.

وزاد صلى الله عليه وسلم موضحا ما يجب على السيد إزاء عبيده وإمائه وخدمه؛ فقال: فمن كان أخوه – في الإنسانية فأحرى في الدين والطين – تحت يده؛ فليطعمه - على سبيل الوجوب – من الطعام الذي يتناوله، وليلبسه من الألبسة التي يرتديها، وعليه أن لا يكلفه في بعض الأحيان بما يغلبه ويشق عليه؛ فإن كلفه به؛ فليعنه عليه بنفسه أو بأحد أولاده وحشمه.

ويستفاد من هذا الحديث:

1) أن الخدم أخوة للمخدومين في الإنسانية.
2) الأمر بالمساواة في الطعام والشراب واللباس بين الخدم والمخدومين.
3) حرمة تكليف المخدوم للخادم بما لا يطيق.
4) مساعدته بنفسه أو بغيره على الحمل الذي لا يطيقه.
5) التذكير بنعم الله تعالى على عبيده وضرورة القيام بشكرها.
6) أداء فريضة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وصادف الصواب ابن جماعة - رحمه الله – حيث أدخل في الخول: الخادم الحر، وهو الذي يساعد رب البيت وربة البيت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على القيام بشؤون المنزل وغيره، وهذا النوع هو الكثير اليوم في جميع المجتمعات البشرية، ويقاس عليه: العامل الذي يساعد رب المعمل على تنمية ثروته.

وقد أوصى الله بالإحسان إلى الأرقاء في قوله: (***واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم***). [النساء: 36].

وصرح النبي – صلى الله عليه وسلم – في شأنهم بعدة تصريحات؛ منها: ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « للعبد المملوك المصلح أجران »، قال أبو هريرة: والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج، وبر أمي؛ لاحتسبت أن أموت وأنا مملوك..

ومنها: ما أخرجاه أيضا عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها وأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها؛ ثم أعتقها فتزوجها؛ فله أجران ».

وحذر – صلى الله عليه وسلم – من ضرب العبد، كما يستفاد ذلك من الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي مسعود البدري – رضي الله عنه – قال: كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: « اعلم أبا مسعود »، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني؛ إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام!»؛ فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا.. وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيبته. وفي رواية: فقلت: يا رسول الله؛ هو حر لوجه الله. فقال: « إنه لو لم تفعل؛ للفحتك النار – أو: لمستك النار ».

ولم يفته صلى الله عليه وسلم – وهو المبين للناس ما نزل إليهم، والمشرع الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى – أن يتحدث عن الحقوق الواجبة على العبد إزاء سيده؛ ومنها: نهيه عن الفرار منه؛ فقال فيما أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيما عبد أبق؛ فقد برئت منه الذمة »، وأخرج أيضا عن جرير عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: « إذا أبق العبد؛ لم تقبل له صلاة »، وفي رواية: « فقد كفر..».

وهناك تشريعات تجب على السيد ولا تجب على العبد؛ وفيما يلي أمثلة منها:

1) عدم وجوب الزكاة عليه؛ لأن من شروطها: الحرية، وهو غير حر، وهو مذهب ابن عمر وجابر من الصحابة، ومالك وأحمد وأبي عبيد من أئمة الاجتهاد.

2) عدم وجوب صلاة الجمعة عليه عند جمهور العلماء. وإنما عليه أن يصليها ظهرا، نعم؛ يندب له أن يصليها جمعة.

3) سقوط نصف عذاب الحر عليه؛ إذا زنى وهو غير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

محصن؛ يجلد خمسين جلدة، ويُغَرَّبُ ستة أشهر فقط. (نصف جلد الحر وتغريبه).

4) جواز دخوله على سيدته إذا كان عفيفا؛ لأن عبوديته لها صيرته مَحْرَما لها؛ قال تعالى: (***أو ما ملكت أيمانكم***). بعد قوله: (***ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن...***إلى أن قال: ***أو ما ملكت أيمانهن***). [النساء: 24].

هذه مظاهر من عناية الإسلام بالرقيق في وقت كان العالم يتبارى في استرقاق جمع من إخوانه وإهانتهم، وتحميلهم ما لا يطيقونه، وبقي العالم الغير المسلم يواصل استعباده لإخوانه إلى القرن التاسع عشر، بل إن بعض الدول اتخذت عادة استرقاق السود دعامة من دعائمها، وإن الكنيسة القبطية في مصر كانت تختطف الإنسان وتخصيه.

وإذا قرر واضعوا القوانين الدولية في القرن التاسع عشر ضرورة إلغاء عادة استرقاق الأفراد؛ فلأنهم عوضوها بعادة استعمار الشعوب كلها، واستغلالها واستثمارها وإذلالها، ولا زالت دول عديدة مستعمرة إلى الآن، ولا نجاة للعالم من جميع الويلات والنكبات إلا باعتناق الإسلام واتباع تعاليمه السامية. والله متم نوره ولو كره الكافرون...

This file was downloaded from QuranicThought.com